إلى كتابة جديدة من أذهان جديدة

* * *

وفى الكتّاب الفضلاء باحثون مفكرون تأتى ألفاظهم ومعانيهم فنًّا عقلياً غايته صحةُ الأداء وسلامةُ النَّسق ، ويندرُ البيان فى كلامهم فيكون كوخْز الخضرة فى الشجرة اليابسة هنا وهنا ؛ ولكن الفنَّ البيانى يرتفع على ذلك بأن غايته قوةُ الأداء مع الصحة ، وسموُّ التعبير مع الدقة ، وإبداع الصورة زائداً جمال الصورة ؛ أولئك فى الكتابة كالطير له جناح يجرى به ويدِفُّ ولا يطير ، وهؤلاء كالطير الآخر له جناح يطير به ويجرى ، ولو كتب الفريقان فى معنى واحد لرأيت المنطق فى أحد الأسلوبين يقول : أنا هنا فى معانٍ وألفاظ . والالهام فى الأسلوب الآخر يقول : أنا هنا فى جلال وجمال وصور وألوان

ودورةُ العبارة الفنية فى نفس الكاتب البيانى دورة خَلْق وتركيب ، تخرج بها الألفاظ أكبر مما هى كأنها شبَّت فى نفسه شباباً ، وأقوى مما هى كأنما كسبت من روحه قوة ، وأدلّ مما هى كأنما زاد فيها بصناعته زيادة . فالكاتبُ العلمىُّ تمر اللغة منه فى ذاكرة وتخرج كما دخلت عليها طابع واضعيها ؛ ولكنها من الكاتب البيانى تمر فى مصنع وتخرج عليها طابعُه هو . أولئك أزاحوا اللغة عن مرتبة سامية ، وهؤلاء علوْا بها إلى أسمى مراتبها ؛ وأنت مع الأولين بالفكر ، ولا شىء إلا الفكر والنظر والحكم ؛ غير أنك مع ذى الحاسة البيانية لا تكون إلا بمجموع ما فيك من قوة الفكر والخيال والاحساس والتأثر

وللكتابة التامة المفيدة مثل الوجهين فى خلق الناس : ففى كل الوجوه تركيب تامٌّ تقوم به منفعةُ الحياة ، ولكن الوجه المنفرد يجمع إلى تمام الخَلق جمال الخَلق ، ويزيد على منفعة الحياة لذة الحياة ؛ وهو لذلك يُرى ويؤثر ويُعشق

وربما عابوا السموَّ الأدبىَّ بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ؛ وبأنه مخالف ، ولكن الحق كذلك ؛ وبأنه مُحيّر ، ولكن الحسن كذلك ؛ وبأنه كثير التكاليف ، ولكن الحرية كذلك

إن لم يكن البحر فلا تنتظر اللؤلؤ ، وإن لم يكن النجم فلا تنتظر الشعاع ، وإن لم تكن شجرة الورد فلا تنتظر الورد ، وان لم يكن الكاتب البيانى فلا تنتظر الأدب

(طنطا) محمد سعيد العريان

حب الشاعر

للأستاذ السيد محمد زيادة

يا حبها : أأنا مخلوق بك ومخلوق لك ؟ . . كيف أتّقيها ولجمالها فى كل مشرق من مشارقه صورة ، وفى كل صورة معنى ، وفى كل معنى خلابة وفتنة ؟ . .

* * *

كنا على موعد أنا وهى ، وكان موعدنا بين الأصيل والغروب فى حديقة سميناها حديقة الحب ؛ تترامى أطرافها ، وتُرى فى مكانها من بعيد كأنها عاشق برّح به هواه فذهب إلى الخلاء يتفرج بالوحدة ، وتُرى من داخلها فى جوها الشعرى الغزلى كأنها جنة هيئت لعاشقين

وتقوم بين أفنانها ربوة صاحية نائمة . . . صاحية بنسيمها الرفاف المعطر ، ونائمة بمنظرها السكران الحالم ، وتظلل هذه الربوة شجرة لفاء وارفة تعانقت أغصانها فكان لها موقف الحب والشوق . . . وهناك على هذه الربوة تحت هذه الشجرة كان الموعد . . والتقينا

وقبل أن يحين الملتقى بساعة كنت جالساً فى حجر الشجرة أترقب من خلال أوراقها احمرار الشمس بعد تمايل الأصيل ، وكان كل ما فى الحديقة من أشجارها وزهرها يترجرج ، كأنما كان للحديقة قلب ينتظر انتظار قلبى . . .

وسرَب خيالى بين أنحاء الطبيعة فى أنحاء الفكر ؛ أما قلبى فكان معى ولم يكن معى ! ! . كنت أحس أنه معى يدق ويرتعش وهو مطمئن خائف ، وكنت أحس أنه بعيد عنى بعد حبيبتى وأنه قادم معها بعد فترة

ومرت على الدقائق ثقيلة محببة ، فكانت كل دقيقة تأتى بعد دقيقة كأنها أجل يمتد من أجل . . .

* * *

وإنى لفى غمرة وذهول فكر إذ رأيت الحديقة تهتز فجأة كأنما راعها رائع . . . فتبينت فاذا بنسمة وردية تنفلق فى جو الحديقة نصفين ويخفذ من بينهما صوت ملاك . . . وتسمّعتُ فاذا بها أغنية هى فن وسحر فن ، وسمعت صوت الملاك يردد :

يا حبيب القلب مالى شغلتْ نجواك بالى

وأنصتُّ فاذا الصوت يقترب شيئاً فشيئاً ، وإذا الحديقة تبتسم شيئاً فشيئاً ، وإذا القلب يذوب شيئاً فشيئاً . . .

لقد جاءت الحسناء . . .

جاءت تترنم بهذه الترنيمة !! ومادت بي الربوة فلم أسمع إلا رعد فؤادى ، ولم أر إلا برق خيالى ؛ ثم انقشعت من فوق رأسى سحابة فنظرتُ فرأيت الحديقة ترقص ، ورأيت الحسناء قد وافت باسمة مغنية متثنية . وخيل إليّ أن الأشجار كلها قد تجمعت وسارت جحفلاً لتحيي جمالها وتزف إلى الطبيعة فى قوامها غصناً خلقه الله ليحيا ، وأحياه ليظل سراً وتظل الطبيعة عاجزة عن معرفة هذا السر

* * *

ومدت إليّ يدها وهى ضاحكة وقالت : كأنك تناديني من بعيد ؛ فهل أنت بعيد ؟

قلت : كانت روحى بعيدة شاردة ، وها قد رجعتْ لما سمعت صوتك . . . وأنا الآن أناديك منها

قالت : لعل روحك طويلة ، ولعلك تناديني من أولها . . .

قلت : بل أناديك من آخرها ، ولولا أنك أدركتنى فأدركت آخرها لضاع منى فى الانتظار كما ضاع أولها

ثم ضحكت وافترّ مبسمها فى الضحك فقلت : كأنى بالحديقة كلها تضحك فى وردة إذ تضحكين

قالت : هذا رأى خيالك

قلت : ورأى عينيّ ورأى قلبي ورأى الحقيقة . . .

قالت : إذا كانت الحديقة تضحك كما تقول فلم لا أراها كما تراها ؟

قلت : لأنك لا ترين ثغرك الضاحك كما أراه

فضحك وجهها كله ، ويا للجمال فى ضحكة الوجه الجميل ! ! لقد رأيته يومض وميض قبلة دانية تمتنع ، ويشع شعاع قبلة ممنوعة تدنو ، فقلت : وها هى الدنيا كلها تضحك

قالت : لقد كبرتْ الحديقة فصارت فى خيالك دنيا . . .

قلت : لا ... بل تبسمت الدنيا من حول الحديقة لأن وجهك تبسم من حول ثغرك

فأطرقت إطراقة حنين وحب ، وترقرقت فى مقلتى حسنها معانى هواها فكانت فلسفة الجمال بين فلسفة العواطف ؛ ثم رفعت رأسها ونظرت إلى السماء فسبحت عيناها فى الشفق ، ثم عادت إليّ من غيبتها وقالت : ما أرق قلب الطبيعة ، إنها الآن حانية ... ألا توحى إليك ؟ . .

قلت : لقد أوحى إلى بهذه الأبيات وأنت قادمة

قالت : ما أشوق نفسى الآن إلى الشعر

قلت : هذا هو شعر الحديقة :

صدْح البلابل فنٌّ من تغنيها ... يا سكرة اللحن لما مرَّ من فيها
البدر تفسير معنى من تلألئها ... والغصن تفسير معنى من تثنيها
كأنها آية قد ألبست جسداً ... يحار فى حسنها الرفاف رائيها
فى صـــوتها رنة لم يعطها ملك ... تضنى قلوب الورى من حيث تشفيها
غنت فقال الهوى هذى مخلدتى ... هذى التى قدستنى فى أغانيها

* * *

فأسبلتْ أجفانها على نظرة صارخة ثم زفرتْ وقالت : آه منكم أيها الشعراء ! ! إنكم إذ تغنون لا ترشدون

قلت : وأين التى هنا ؟

قالت : فى لسانك ، من وراء شيطانك ، من وراء قلبك ...

لقد جعلت الشعر مصيدة . . . إنك محتال شريف ! !

قلت : إذا فما للشعرى لم يصد ؟

فسكتتْ هى وقالت عيناها : يا مُنكر الخير . . .

ثم سكتت عيناها وقالت هى : . . . ويحك

قلت : لو أنك رأيت كيف كان اللحن بين شفتيك وأنت مقبلة عليّ إقبال الدنيا على طريدها ، وكيف كانت شفتاك فى وجهك وكيف كان وجهك فوْق قوامك ، وكيف كان ميْد قوامك بين ميد الغصون ... لو أنك رأيتِ هذا لكنت الآن شاعرة ولما قلتِ فى وصف نفسك غير ما قلته ؛ . والله لكأن الفتنة ما خلقت إلا للمغنيات . . .

ونظرتُ اليها خُلسة فرأيت وجهها ساكناً يحتج على أنى أخطأت وعددت فتنته من فتنة غيره ، ثم رفعت بصرى لأخلس نظرة أخرى ، فصدمتْنى منها نظرة حزينة وقالت : أكل المغنيات جميلات لديك ؟ . . .

قلت : ومن غيرك جمعت بين جمال الجسم وجمال الصوت فى جمال ثالث هو انفرادها بالجمع بينهما ؟؟.. فاذا كنت لم أحسن التعبير فليكن عذرى أننى أحسنت القصد

ولكنها غضبت وطال منها الغضب ، وتراءت لى كأنها

تجادل قلبها فى صوابه لترده إلى صوابها ، ثم كأنها انتصرت وأمسكت قلبها بالحجة ؟.. ثم تبسمت فضحكت ثم قالت : يخيل إلى أنك خلقت وفى قلبك أذن مرهفة للغناء فمشت لتهوى المغنيات ، وتجعل من كل منهن قصة حب ، وتفيد من كل منهن تجربة حب ، وتحسب كلا منهن أنها نهاية فلا تلبث حتى تراها بداية ؛ وجاء دورى عندك ... ولكن أى حب ؟ !

قلت : حب الشاعر الجاعل روحه نسمة فى جوك ، الباذل لك من قلبه كل البذل

قالت : كنى أن تقول حب الشاعر ليفهم سامعك أنه حب أيام أو أسابيع أو شهور ، وأنه كالزهرة لا تكاد تينع حتى تجتنى

قلت : لقد عكست الوضع يا آنستى ؛ فحب الشاعر غير حب الناس ، لا يكون له آخر كما يكون له أول ؛ وإنما هو الحب الذى يبدأ ليظل حيث يبدأ فيرتبط بأجل الشاعر ما طال أجله ثم يبقى بعده ما بقى ذكره . . . أفلا تعلمين أن الشعراء هم أشد أهل الوفاء تمسكا بالوفاء ، وأكثر أهل الحب صدقاً فى الحب ؟..

قالت : هذا من وهم الشعر والشعراء

قلت : أفلا تعرفين أنهم يشقون ليسعدوا غيرهم ؟ . .

قالت : وهذا من أكاذيب الشعر والشعراء

قلت : أفلا تعتقدين أنهم مخلدون ؟ . .

قالت : وهذا من أحلام الشعر والشعراء

قلت : إذن فما ذا تقولين فيهم ؟

قالت : أقول إنهم شواذ الناس ، أما خلالهم فهى الخير والشر ، كلاهما يشق طريقه فى جوف الآخر ، وأما كلامهم فأجمل ما فيه أكذب ما فيه ، وأما حياتهم فما منها غير تناقضها واضطرابها ، وليس لها أن تركن إلى حال مهما تكن الحال . . .

قلت : وحبهم إذا كان من قلوبهم ؟

قالت : أليس الشاعر كالطائر لا يطيب له عيشه إلا فى تنقله بين الأفنان والأدواح ؟ ثم أليس من طبيعة الشاعر أنه طماح لا تقنع نفسه إلا بسعيه وراء الجديد حيث يكون ؟ فهل مع هذا نصدق أن فى طوقه أن يحب فتنفرد لديه حبيبته ، ويحبس عليها قلبه ؟

قلت : وهذه الحرق التى فى كبـــدى منك ، ما هى وما مصيرها

قالت : هى الهوى الغاوى ومصيرها إلى غيرها من غيرى

ثم اضطجعت إلى ظهر المقعد تبتسم وتخفى ابتسامها كأنها شاعرة بغيظ فؤادى فقلت : وهذه الألفة التى بين روحى وروحك من أين جاءت إذا لم تكن بنت الحب ؟

فقطّبتْ بعض جبينها الوضاح ، وظهرت لى كأنها تنكرنى وتتنكر لى ، ففلقت بهذا كبدى ثم قالت : هذه الألفة ؟.. سل عنها قلبك . . .

أواه منها ! ! أواه منها ! ! ما كان أقساها

* * *

وسكتنا فترة وكلانا فى حاله ... هى فى دلالها تتأود وتهز ساقاً موضوعة فوق ساق ، وأنا فى حَنَق أتلوّى وأضغط يداً مضمومة إلى يد ، ثم نظرتُ إليها ونظرتْ إلىّ فقلت : هل تعلمين كيف أنت الآن فى قلبى ؟

قالت : لا إخالنى إلا ممقونة مقت الحقيقة عند ما تكون مرة

قلت : بل محبوبة حب الدلال فى الجمال ... إنى أراك الآن فاتنة أخرى ممثلاً فى فتنتها عناد الفتنة ؛ فأنت فى عينى برق يثور على برق ؛ أما أنا فلست أنا . انظرى ... هل ترينى كما كنت قبل دقائق إنساناً بحالة إنسان ؟

فسرّحتْ طرفها فى هيكلى ، فاقتحمتْ نظراتها الى قلبى فذابت فى دمى وجرت فى عروقى ، وكانت النظرات شيئاً حلواً فى شىء مر ... كانت رضا فى غضب ، وإغراء فى صد ، ولينا فى صلابة

ثم كفّت الغادة بصرها وقالت : لو لم يكن غرامُ الشعراء غرامَ برهة من الدهر قد تطول وقد تقصر لما كان مزعزعاً مُخلّى ، ولكان فيه أظهر ما فى الغرام ؛ ولكن من حكمة الله أنه يخلق فى كل شىء كامل شيئاً ناقصاً ليجعل الكمال فى الدنيا غاية لا تدرك

قلت : الشاعر يخلق موعوداً بحبيبة يتناهى إليها الجمال فى رأيه ، فيعيش ما يعيش هائماً على وجهه بين مراتع الغيد يفتش عن تلك الحبيبة المجهولة ، فتجنح به عيناه الى كثيرات يتخايلن له بتلك التى فى غيبه ... حتى إذا صادفها وعرضتْ له جمته على حبها وأخرجته من طور الفكرة المشعثة الى طور الفكرة الملمومة ... وهأنت التى كانت فى غيبتى فأصبحتْ فى حياتى

قالت : لا أكاد أصدّق هذا إلا لأكذّبه ، فما يثبت عندى أننى أول من توافى وآخر من تحب

قلت : كيف لا وأنت قد أصبحت لى فى كل مالى ، فأنا لا أرى الجمال إلا فى جمالك أو فى خلال جمالك ؟ . . إن خيالى

ليقف عند نهايتك فليس فيه مابعدك وليس فيه إلا أنت أو مايجيء عنك ...

يارب سبحانك ! ! يا فاتح الروح للروح ... يا هازم القلب بالقلب ... يا فاعل ما تريد ... يارب سبحانك ...

ماذا أقول ؟ ... ياحبها أجب ، فانت السائل وأنت المجيب

إني رأيتها تبكي ولكن بغير دموع ، وسمعتها تضجّ ولكن بغير صوت ، ثم بدت في عينيها فترة كأنها سنة ، ورأيتها في في جلستها رخيّة رخية كأنها نائمة ، وكانت حقاً نائمة نوم أحلام في يقظة فكر

قلت : آه ما أجملك ! ...

قالت : وما أجمل شيطانك ...

ثم هزت رأسها هزة ضعف ، ثم سكتت فتركتها تسكت لأرى ما في سكوتها من كلام حسنها ... فماذا رأيت ؟ رأيت وجهها يحمرّ ويحمر حتى يكاد يلتهب ، ثم رأيته يميل عني ليخفي ما سَفَر عليه مما احتجب خلفه ، وأدركت ما بها فاستحييت أن أطيل النظر إلى شعاع السحر في احمرار الخفر على محياها ، فأغمضتُ جفوني على حلم سكران فلم أرها ...

وسمعتها تنهد ، وجاوبها قلبي فتنهد ، وفتحت عيني مخمورتين لأراها فاذا بجمالها ثائر فزع ... عينان مهمومتان ووجه مرتبك

ثم رأيتها وَخزَتْ شفتها بسنها ، وقرصت إصبعاً بأصبعين ، ودقت برجلها على الأرض دقة وقالت : ما أضعف الانسان ! ! .

ثم تفتّرتْ وتندّى جبينها وهدأت هدوء الفكر المستسلم فقلت : وما أقوى الحب ! !

(لنظا) السيد محمد زياده

الرســـالة

تدخل عامها الخامس في أول يناير ومعها :

الروايـــة

وهي مجلة للقصص العالي والسعر الرفيع ؛ تصدرها ادارة الرسالة في ثمانين صفحة

تعتمد في الغالب على نقل ما راع وخلد من بدائع الأدب الغربي في القصص على أوسع معانيه من الأقاصيص والروايات والرحلات والمذكرات والاعترافات والسير . وسيكون دستورها : الجمال في الأسلوب ، والحسن في الاختيار ، والنبل في الغرض ؛ فترضى الذوق كما ترضى الرسالة العقل ، وترفع القصة كما ترفع الرسالة المقالة ، وتسجل أدب الغرب كما تسجل الرسالة أدب العرب

اشتراك الرواية المؤقت

تصدر الرواية مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه . لذلك سيكون بدل اشتراكها ثلاثين قرشاً في مصر والسودان ، وخمسين قرشاً في الخارج بدون تخفيض

اشتراك الرسالة المخفض

كل من يسدد اشتراك الرسالة الكامل وقدره ستون قرشاً في مصر ومائة قرش في الخارج قبل انتهاء شهر يناير ترسل إليه الرواية مجانا ، وللمعلمين الالزاميين وطلاب العلم أن يدفعوا أربعين قرشاً للرسالة وحدها ، أو ستين قرشاً للرسالة والرواية وكتاب من مطبوعات (لجنة التأليف والترجمة والنشر) لايقل ثمنه عن عشرة قروش ولايزيد على خمسة عشر ، (وأجرة البريد على المشترك) ، وستنشر الرسالة قائمة بالكتب المختارة

(تنبيه) رسم البريد للخارج مضاعف على الرواية لكبر حجمها ، لذلك سيكون اشتراك الاعتبار في شهر يناير للبلاد العربية تسعين قرشاً بدل ثمانين